النظريات التأويلية الحداثية وأطر الفهم الموضوعي للنص القرآني

أ. م. د. عبدالله علي عباس الحديدي
جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الملخص

تبحث الدراسة فيما تتناوله النظريات الحداثية من سبيل للفهم وفيما يتمنّع عليها لما للنصوص من أطر للفهم الموضوعي يمنع تعسفها وما فيها من مزايدات ذهنية طلباً لمعانٍ ثانوية تحتملها النصوص بطبيعتها اللغوية ولكنها تُستبعد من خلال مقاصديتها التي تدور حولها تلك النصوص في خطابها.

Abstract:

The study examines what modernist theories deal with in terms of understanding and what is forbidden to them because the texts have frameworks for objective understanding that prevent their arbitrariess and the mental auctions that they contain in order to seek secondary meanings that the texts tolerate by their linguistic nature, but they are excluded through their intentions around which these texts revolve in their discourse.

***

المقدمة

للتأويل كقراءة للنصوص الدينية او البشرية نظريات في تناوله كمعيار للفهم فالنظريات التأويلية سواء الأصولية منها أو الحداثية ذات الأصول الغربية لها جذور فلسفية تلقي بظلالها على التطبيقات الحية على النص المستهدف بهذه القراءة فبينما تقف القراءة على حافة فهم النص يتجاوز التأويل عمقه إلى آفاقه الاحتمالية من خلال تجاذبات العقل واللغة معا لاكتناه مفاهيم تقترب منه وتحتمل المعاني التي مثلته فجاءت الدراسة للوقوف على تلكم النظريات والحيثيات التي بنيت عليها وما تؤول إليه في قراءتها للنص القرآني لا لخصوصيته فقط بل طلباً لموضوعية الفهم الذي يؤطر بجملة من القواعد الموضوعية يتفق عليها جميع النظار فالنص لا يقرأ من خلال توظيفات العقل أو قواعد تعلقت بنصوص تختلف خصوصيتها عن نصوص أخرى من حيث اللغة والتشكل التاريخي والغائية الاخلاقية والمقصد الذي يمثل موضوعاتها فتشكل ذهنية المفسر لتلك النصوص تمثل مقصدية تلك النصوص فالقواعد التأويلية تتشكل وفقاً لطبيعة النص وبالتالي ليس من الموضوعية أن يفهم بضؤها نص يفارقها في الطبيعة اللغوية والرسالية فبينما يقف التأويل الإسلامي انجذاباً لمقاصدية النص القرآني ينجذب التأويل القرائي الغربي نحو ذاتيات المؤول الغربي تجاوزاً للأُطر التي تُحدد الرؤية

التأويلية وتقوده نحو رسالة النص فليس الفهم عبثي يمكن أن يفرض رؤيته النسبية على كل ما أمكن أن يحتمله النص من جهة العقل بل هناك أطر تؤدي به إلى الدخول داخل دائرة الفهم أو الخروج به إلى تجريدات ذهنية خارج إطار الممكن وهذه الدراسة جاءت لنقد الرؤية الفلسفية لهذه النظريات وطبيعتها الالية المنفتحة على احتمالات اللغة استدعاءاً للتجربة الشخصية فنظريات الحداثة لها موقف من المعنى من جهة وأخرى من مؤلف النص وبسياق آخر من القاريء المتلقي بينما النظريات التي تعنى بالفهم وفق واقع النص وخصوصية المخاطب والمخاطِب لا تكاد تستجيب لهذه الحيثيات دون اعتبار لتجارب العصر أخذاً للحاضر نحو الماضي وتفعيلاً له في فهم النص وكسراً للثابت التاريخي تحولاً إلى لغة العصر فالنقد في هذه النظريات يأخذ مساراً من الذاتية في الفهم بناءاً على عدم الخضوع لمصادمات الأحكام القرآنية مع التثقيف الموغل في الذهنية الحداثية المشكل للسلوك والفهم معاً بينما حيادية العلم لا يمكن لها الانجذاب لتجربة تمثل عصر أو مرحلة تحاول قراءة التاريخ العلمي المنهجي لنص في مرحلة وظرف تاريخي ما فخصوصيتها تمنع ايرادات الفهم التعسفي على محيطها اللغوي فكانت البنيوية فالسيميائية ونظرية التلقي والتداولية محاوراً لهذه الدراسة تعقبها أطر الفهم الموضوعي المتعلقة بالقاريء المتفهم والنص المخاطب به فكان لأسباب النزول تحديداً لقراءة النص وفق مفهوم الغائية التي أنزل من أجلها وكذلك لقرينة الحال والسياق اللغوي ما يخدم الوصول الآمن للمعنى وقوفاً على مغزاه ومؤداه التشريعي في تمثيل المعنى .

***

المبحث الأول

النظريات التأويلية وتجاوز الحدود اللغوية والتاريخية للمعنى

الالسنية الحديثة تفرق بين المعنى المعجمي للكلمة وما هو مجاز وآثار للمعنى [١] فاللغة نشاط ذهني له مستند نفسي فردي غير خالص لأن البيئة الاجتماعية ترفده وتمده بجملة القوالب النظرية (قوانين اللسان)[٢] ففي البنيوية: «الأعمال الأدبية برمتها تمثل أبنية كلية لأن دلالتها في الدرجة الأولى ترتبط بهذا الطابع الكلي لها ... واعتبار البنى الجزئية ليست من الأجزاء المادية المحسوسة وهو جوهر النظرية البنيوية فالقصيدة لا تصبح مجرد مجموعة أبيات ... بل تبنى من مستويات»[٣] كما بدأ البنيويون تركيزهم على النص ذاته بغض النظر عن مؤلفه أياً كان هذا المؤلف والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به ويقصدون بذلك موت المؤلف [٤] إذن التعويل على الكفاءة الذاتية التي تمثل قيمته وليس علاقته بغيره من المستويات الخارجية سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو تاريخية[٥] وبذلك أهدر الحداثيون علم أسباب النزول وغيرها من العلوم المرتبطة بالتنزيل ثم يرى صلاح فضل بأنه «كان المنطلق الأساسي الذي تبناه البنيويون في تحليلهم يتمثل باعتبارها أنظمة للعلامات[٦] وهي ما تسمى بالسيميائية : وهي علم يدرس الدلالة النصية اعتماداً على مبدأ يرى أن هذه الدلالة إنما تتوزع على شكل علامات أو سمات في النصّ، وتقوم منهجية هذا العلم على كشفها وتحديد مسارات تمظهرها في النصّ وتدعو إلى لانهائية المعنى [٧] ومن النظريات الغربية المهمة التي جعلها نصر حامد أبو زيد جزءاً من آليات التفسير لديه هي نظرية الهرمنيوطيقا والتي تُعَرف بأنها : فن أو أسلوب الفهم والتأويل . والقضية الأساسية التي تتناولها هي مشكلة تفسير النصّ بشكل عام، سواء كان هذا النصُّ تاريخياً أم دينياً، والأسئلة التي تحاول الإجابة عنها أسئلة كثيرة ومعقدة ومتشابكة، حول طبيعة النصّ وعلاقته بالتراث والتقاليد من جهة، وعلاقته بمؤلفه من جهة أخرى، والأهم من ذلك أنها تركز اهتمامها على علاقة المفسّر بالنصّ [٨] وتقول

(١) ينظر : كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط١، منشورات الاختلاف (الرباط : ٢٠١١م) : ١٤٨ .
(٢) عبدالله عمر الخطيب، الحداثيون وقراءة النص الشرعي : ٦ .
(٣) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الافاق العربية: ٩٢-٩٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٥ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٦- ٩٧ .
(٦) المصدر نفسه :٩٧ .
(٧) ينظر : الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى دراسات سيميائية، ترجمة : نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، د . ت : ٢٠٠ .
(٨) ينظر : ملحق التعاريف إعداد، محمد صهيب الشريف

صليحة بن عاشور واصفة بعض المناهج الحداثية كأداة في الفهم والتفسير : «إن البنيوية أحرزت كثيراً من التقدم بعد جهود عديد من العلماء الآخرين خاصة كلود ليفي ستروس - -LACAN JACQUES FAUCAUTLT MICHEL - STRAUSS LEVI CLAUDE وغيرهم الذين بذلوا جهوداً كبيرة لدراسة الأبعاد اللغوية للثقافة، واستخدام اللغة في تحليل بناء الثقافة الإنسانية برمتها. وقد استفاد عدد من المفكرين المنشغلين بقضايا الفكر العربي من هذه المناهج في تحليل علاقة اللغة العربية بطبيعة الثقافة العربية وتطوراتها التاريخية. وقد شكّلت قراءة النص القرآني أحد أهم انشغالات وتحديات النخبة الحداثية العربية»[1] والحقيقة ان هذه المناهج الحداثية لا تقارن بالإسلام بالرغم من أن هناك من يقارن بين الحداثة والإسلام فيعتبر أن كل واحد منهما نظام ونسق مختلف كلياً عن الآخر إن الحداثة لا تقبل أن تنحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه فلسفة اليونان، ولا الإسلام كذلك يقبل أن ينحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه مسيحية الغرب،...فالمسعى الأول؛ تحديث الإسلام، يقدم الحداثة على حساب الإسلام، والمسعى الثاني؛ أسلمة الحداثة، يغلب الإسلام على الحداثة وهذا يعني أن كل مساعي الدمج بين النظامين لن يكتب لها النجاح، إلا بمحو الطابع الكلي عن النظام المستوعب إلا أنه لابد من التحفظ على مثل هذه المقارنات، ذلك أن التناقض إنما يكون بين ما له نفس الموضوع والمرتبة، ولا يخفى أن الحداثة لا ترقى إلى مستوى الإسلام من حيث هو دين وتصور متكامل عن الكون، ولهذا لا معنى لما يتحدث عنه بعض المفكرين من «تصالح الإمكان الإسلامي مع الإمكان الحداثي[2].

***

نقلاً عن كتاب الاجتهاد، النص، الواقع، المصلحة : ٢٠٦ .

(١) صليحة بن عاشور، الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله، جامعة ورقلة الجزائر: ٢٢٤ .

(٢) ينظر : فاطمة الزهراء الناصري، القراءة الحداثية للنص القرآني دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، ندوة دولية بعنوان الحداثة والهوية الثقافية أية علاقة ؟ : ٥.

المبحث الثاني

النص والتراث في المفهوم الحداثي

النص لدى الحداثيين متعدد وهذا لا يعني ان له عدة معان ولكن إنه يحقق للمعنى المتعدد تعددية لا عودة عنها [١] يقول علي حرب «فالنص لا يتوقف عن كونه محلا لتوليد المعاني واستنباط الدلالات ولامجال لأحد أن يقبض على حقيقته»[٢] وفي سياق كلامه عن النص يقول نصر حامد أبو زيد: «ومعنى ذلك فيما يرى شلاير ماخر إننا ندور في دائرة لا نهاية لها هي ما يطلق عليها الدائرة الهرمنيوطيقية»[٣] وبسياق آخر يقول: «فالنص لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية بل هو فضاء دلالي وإمكان تأويلي» [٤] وبذلك يخلص التأويليون المعاصرون إلى أن هناك حاجة ماسة للتأويل وتأويل النص الديني خصوصاً والنصوص التأسيسية في التراث عموماً من خلال اقتراح تقنيات في القراءة وأدوات في فهم النص لكشف التوظيفات الايديلوجية والوثوقية للنصوص المقدسة من طرف حراس الحقيقة وإبراز الفرق بين التأويل والنص والقراءة واللغة [٥] فالتغيرات الجذرية في الأدب التغيرات التي لامست مفهوم النص على يد كاتبي القطيعة ما لارامبه ونيتشه هي التي طرحت في نهاية الأمر بوضوح قضية تعدد التأويلات وطرحت بالتالي قضية دور القاريء وأهميته[٦] «ولقد بدأ دعاة منهج النقد الغربي من حيث انتهى المبشرون والمستشرقون ومن خلال شبهة مضللة وهي أن القران من صنع محمدعليه الصلاة والسلام: ومن هنا أباحوا النظر إليه على أنه وثيقة أدبية من إنشاء بشر[٧] «ويكون النص في علامية الأدب حصراً إن صح التعبير مجموعاً شكلياً لظواهر لسانية»[٨] لكن المشكلة التي لم ينتبه لها الحداثيون وكما يراها بوبر بقوله: «وكثيراً ما ينشأ الخلط بين عمليات التفكير ... ومحتوى الفكر ... ويقتضي تحري الدقة التمييز بين ما نقوم به من عمليات ذهنية وبين محتوى الفكر بمعناه المنطقي[٩] لذلك جاء البيان

(١) ينظر: محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، ط١، مركز الإنماء الحضاري (حلب: ١٩٩٨م): ١٥.
(٢) علي حرب التاويل والحقيقة: ٧١ .
(٣) نصر حامد أبو زيد إشكاليات القراءة واليات التاويل: ٢٢ .
(٤) المصدر نفسه: ٧٧ .
(٥) ينظر: كيحل مصطفى الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون: ١٠٤ .
(٦) ينظر: فيرناند هالين وآخرون، بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة محمد خير البقاعي، طوكولو (باريس: ١٩٨٧م) : ٧١.
(٧) أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط٢، دار الكتاب اللبناني (بيروت: ١٩٨٥م): ٢١٦ .
(٨) محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية ، ط١، مركز الإنماء الحضاري (حلب: ١٩٩٨م): ٣١ .
(٩) محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية: ٣٤٢.

القرآني بالمحكم وبالمرجحات فصلاً ما بين ذلك في العملية التأويلية وفي الرد على مناهج التغريب هذه يقول الرافعي «وان هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحة إلا من لا حفل له من زنديق يتجاهل أو جاهل يتزندق ثم إن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها إلا بالمران والمزاولة ودرس أساليب الفصحى والاحتذاء عليها وأحكام اللغة والبصر بدقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق فيها كل هذا مما يجعل الترخص في هذه اللغة وأساليبها ضرباً من الفساد والجهل»[١] والحقيقة «ان النتيجة المنطقية المباشرة للقول بلا نهائية الدلالة والانتشار او التفجر المستمر للمعنى هي كل القراءات هي اساءة قراءات وكل التفسيرات هي اساءة تفسيرات وان شئنا الدقة فإن الموقف الذي يصل اليه التفكيكيون هنا هو النتيجة الحتمية لكل استراتيجيات التفسير وعناصر التفكيك جميعاً دون استثناء»[٢] «إن التأويل هو البحث عن معنى محتمل من معاني متعددة وعدم ربط النص بمعنى واحد او حقيقة واحدة وهذا ما يجعل النص يحتمل عدة معاني أو قراءات»[٣] فهو كما يعرفه علي حرب «هو صرف اللفظ إلى معنى يحتمله إنه انتهاك للنص وخروج بالدلالة ... إنه يوسع النص بصورة تجعل القاريء يقرأ فيه كل ما يريد أن يقرأه»[٤] وذهب البعض من الحداثيين إلى أبعد من ذلك يقول سعيد ناشيد «إن القرآن تأويل نبوي للوحي الإلهي تأويل انجزه الرسول اثناء تلقيه للإشارات الإلهية واجتهاده في ترجمتها إلى عبارات بشرية لذلك جاء القرآن انعكساً لشخصية الرسول القرشية عليه السلام»[٥] ومقابل النص عرف التراث فالتراث من وجهة نظر حسن حنفي هو اسقاط الذات على النص إذ يقول «هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات والتراث ليس معتقدات مقدسة مغلقة، ولا هو بناء صوري شكلي، ولا هو مجرد مخطوطات ومنشورات و مؤلفات أو دوائر معارف، فهو ليس بالتراث الصوري الفارغ الذي لا أثر له، ولا هو مجرد أشياء مادية محفوظة. فالتراث» هو المخزون النفسي عند الجماهير، هو تمركز الماضي في الحاضر، يتحول إلى سلطة في مقابل سلطة العقل أو الطبيعة، تمد الإنسان بتصوراته للعالم وبقيّمه في السلوك، ويظهر التراث كقيمة في المجتمعات النامية وهي المجتمعات التراثية التي ما زالت ترى في ماضيها العريق أحد مقومات

(١) أنور الجندي خصائص الادب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث : ٤٣٩ .
(٢) عبدالعزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك عالم المعرفة (الكويت : ١٩٩٨م) : ٣٩١ .
(٣) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون : ١٠١ .
(٤) المصدر نفسه : ١٠١ .
(٥) سعيد ناشيد، الحداثة والقرآن، ط١، دار التنوير (تونس : ٢٠١٥م) : ٧٣ .

وجودها وفي جذورها التاريخية شرط تنميتها [١] ويقول عبدالله عمر الخطيب عن رؤيتهم لطبيعة النص: انطلق الحداثيون في نظرتهم للقرآن الكريم، على أنه منتج قابل لإخضاعه لمختبر سردي يعيد انتاجه وقراءته، إن النص {القرآني} في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكرها فأعلنوا صراحة عن مشروعهم في قراءة النص القرآني، وحددوا مساقات إعادة القراءة، بما يعطي مندوحة من الحرية الفكرية غير المرهونة بقداسة مسبقة، إن ما ندعو إليه ... هو:

أ- مراجعة أصول الفكر الإسلامي الأولى.

ب- تفكيك تلك النصوص من النسق الذي ركبها فيه الضمير الإسلامي أو الاستشراقي، وذلك بوصلها بالحدث التاريخي والمحيط الجغرافي والنظام الاجتماعي - الثقافي والذهنية السائدة بوقتها[٢] ودخل على النص من محاور ذكرها أحمد ادريس الطحان: ومن هذه المفاهيم الكلية والاجمالية التي تبدو في القرآن (المجمل في اصول الفقه) المحكم والمتشابه الظاهر والباطن القراءات والأحرف والسبعة وهو ما يسميه طيب تيزيني باختراق النص متنياً.

العموم والخصوص هذه بنظر الخطاب العلماني مداخل كبرى لجعل النص مرناً مطواعاً لكل التأويلات والتفسيرات والاجتهادات[٣].

فضلاً عن ذلك فالنص تدوين لروح العصر لدى الحداثيين من خلال تجارب فردية وجماعية في مواقف معينة متعددة متباينة فهو عمل إنساني خالص لأنه يتحدث بلغة إنسانية نسبية فالوحي على ذلك تأنسن عندما تحول عبر الرسول إلى كلمة إنسانية [٤] ويبين الميداني طبيعة الفهم القلق لدى الحداثيين فيقول :» إن أعداء الإسلام قد عجزوا طوال أربعة عشر قرناً عن أن يدخلوا التحريف اللفظي في كلمة واحدة من كلمات الله المنزلات على رسوله محمد ﷺ فلجؤوا إلى حيلة ثبات النص وحركة المحتوى «[٥] وهو نهج استشراقي بامتياز يقول عبدالعزيز بن سعد الشهري في ذلك «فعندما تحول الاستشراق عن منهجه القديم تحولوا معه تدريجياً لمنهجه الجديد أو ما يسمى بالاستشراق الجديد مما يدل على الترابط الفكري المنهجي والتبعية التي ارتضاها رموز ومفكروا العرب الحداثيون لأنفسهم

(١) كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي جامعة سلمان بن عبد العزيز السعودية : ٣٩ .

(٢) عبدالله عمر الخطيب الحداثيون وقراءة النص الشرعي: ٦ .

(٣) احمد ادريس الطحان، العلمانيون والقران والكريم، ط١، دار ابن حزم (الرياض: ٢٠٠٧م) : ٤٣٤.

(٤) المصدر نفسه :٤٢٦.

(٥) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، التحريف المعاصر في الدين تسلل في الأنفاق بعد سقوط في الأعماق، ط١، دار القلم (دمشق : ١٩٩٧م): ٢٣ .

فعندما رأى المستشرقون ضرورة التحول واعتماد أساليب القراءة الحداثية من الدراسات الإنسانية والاجتماعية تحول معهم كثير من الحداثيين في عالمنا العربي وصاروا يستعملون هذه القراءات في تعاملهم مع القرآن الكريم[١].

***

المبحث الثالث

أطر الفهم الموضوعي للنص القرآني

«الوحي حقائقه مطلقه غير خاضعه للتعقيب الإنساني في ذاتها ودور الإنسان أزاءها إنما هو دور الاستجلاء فحسب»[٢] وبهذا لم يكن النص نصاً مفتوحاً كما إدّعى الحداثيون بل هناك أسس لتعاطي الفهم لمدلولاته على اختلاف مستوياتها القطعي منها والظني وهي الأطر المرجعية لتحديد الدلالة القرانية أولها : النص ذاته وعينته قواعد ثلاث الأولى ومفادها : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له والثانية لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه والثالثة : حمل معاني كلام الله على المعهود من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك [٣] فهي تدور في الغالب على توضيح معنى الآية بمعنى آخر من آية أخرى أو تفسير مجمل الآية بأية أخرى من باب حمل المطلق على المقيد [٤] والاطار الثاني في الفهم هو الرجوع

(١) عبدالعزيز بن سعد الشهري، التناص القرآن في دراسات الحداثة العربية والاستشراق، ط١، دار الوعي (الرياض : ١٤٣٧هـ) : ١٣ .

(٢) كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، جامعة سلمان بن عبد العزيز، السعودية : ٣٩ .

(٣) حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ط١، دار القاسم (الرياض، ١٩٩٦م) :١ / ١٩.

(٤) عبير بنت عبدالله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ط١،

للسنة لقوله تعالى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾} النحل: ٤٤ فهي إضافة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم في أمور التبليغ ومؤيد بالوحي [١] فالسنة مبينة للقرآن وموضحة له فهي التي تفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه فالسنة عند العلماء قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة لأن الكتاب يكون محتمل لأمرين فأكثر فتأتي السنة بتعيين أحدهما فيرجع إلى السنة ويترك مقتضى الكتاب [٢] والقواعد كثيرة في بيان أهمية السنة منها إذا عرف التفسير من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول من بعده [٣] يقول ابن عاشور :» فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد من المجموع الملتئم من علم العربية وعلم الآثار وأما الآثار فالمعني بها ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من بيان المراد من بعض القرآن في موضع الإشكال والإجمال «[٤] والإطار المرجعي الثالث هو الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين يقول الحبنكة :» على متدبر كلام الله أن ينظر في التفسير بالمأثور لمعنى النص القرآني فهو حري أن يكون في كثير من الأحيان فهماً صحيحاً و إن لم يكن كاملاً شاملاً لكل ما يهدف إليه النص القرآني ويشمل التفسير المأثور ما فهمه الصحابة والتابعون «[٥] وهناك إطار مرجعي آخر هو الترجيح بإجماع الحجة من أهل التأويل قال تعالى : { أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } البقرة: ١٨٤ الاية تدل على من قدر على الصوم له أن يعوضه إذ يقول: {شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } البقرة: ١٨٥ ونقل عن ابن عباس وفي البخاري عن ابن عمر وسلمة ابن الأكوع نسختها اية {شَهْرُ رَمَضَانَ } ورويت آثار كثيرة عن التابعين دالة على عادة التشريع في التدرج إذ شق عليهم الصوم في أول الأمر .[٦] وهناك في اللغة وهو من أساليب القرآن ما يسمى بالاحتراس ومعناه التحفظ من احتمالات بعيدة يحتملها الكلام توهم بغير المقصود أو بما لا يليق كقوله تعالى {وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ

دار التدمرية (الرياض : ٢٠١٥ م) : ٦٣.

(١) ينظر : السبت، قواعد التفسير :١٣٠ .

(٢) ينظر : خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده ، ط٢، دار النفائس (بيروت : ١٩٨٦م) : ١٢٥- ١٢٦ .

(٣) ينظر : السبت، قواعد التفسير :١٤٩ .

(٤) عبير بنت عبدالله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير : ٦٤ - ٦٥ .

(٥) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، ط ١، دار القلم (دمشق : ١٩٨٠م) : ٨٨.

(٦) حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٩٢ .

مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ} طه: ٢٢ فاحترز بقوله من غير سوء من احتمال أن يكون البياض من البهق أو البرص [١] أما أصحاب النهج الحداثي فيرون أنه «لا قداسة للنصوص الإسلامية الدينية (نصوص الكتاب والسنة) على الاطلاق فهي لا تعدو أن تكون مثل أي نص بشري وبذلك فهي لا ترتقي بأي حال من الأحوال عن النصوص البشرية ولا تنفك عما تتأثر به تلك النصوص البشرية من التأثير الزماني والمكاني في صوغها وبذلك فإن تلك النصوص الدينية لا تصلح إلا حيث نزلت أو أولفت كما يظنون زماناً ومكاناً»[٢].

***

الخاتمة

أما النتائج التي توصلت إليها الدراسة فكانت كالآتي:

١- وجدت الدراسة ان لتفسير النصوص الدينية أطر للفهم لا يتجاوزها في تحريك الدلالة القرآنية نحو أي معنى من المعاني المحتملة .

٢- ترى الدراسة ان المنهج الحداثي منهج هجين لعدة مناهج في استهدافه للمعنى القراني لا تحتمله النصوص إلا بتأويلات بعيدة .

٣- كما توصلت الدراسة إلى ما للمعنى القرآني من منعة لغوية وعقلية على التأول المنفتح المتجاوز لضوابط اللغة ودلالات السياق .

٤- وجدت الدراسة أن لمفهوم النص لدى الحداثيين معنى أكثر اقتراباً من مفهوم التأويل باعتبار أن النص محلاً لتوليد الدلالات .

٥- كما وجدت الدراسة أن للمعنى القرآني أطر في الفهم لا يمكن تجاوزها بل لابد من الرجوع إليها في التحقق من المعنى المراد .

***

(١) سعيد مصطفى دياب، الإحتراس في القرآن الكريم نقلاً عن الشبكة العنكبوتية : ١ .

(٢) أبي الطيب مولود السريري، القانون في تفسير النصوص، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ٢٠٠٦م) : ١٨٩ - ١٩٠.

المصادر والمراجع

• أبي الطيب مولود السريري، القانون في تفسير النصوص ،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ٢٠٠٦م) .

• احمد ادريس الطحان، العلمانيون والقران والكريم، ط١، دار ابن حزم (الرياض: ٢٠٠٧م) .

• أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط٢، دار الكتاب اللبناني (بيروت : ١٩٨٥م) .

• الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى دراسات سيميائية، ترجمة : نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، د . ت .

• حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ط١، دار القاسم (الرياض : ١٩٩٦م) .

• خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده ، ط٢، دار النفائس (بيروت : ١٩٨٦م) .

• السبت، قواعد التفسير، ط ١، دار بن عفان، ١٤٢١هـ.

• سعيد ناشيد، الحداثة والقرآن، ط١، دار التنوير (تونس : ٢٠١٥م) .

• صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الافاق العربية .

• صليحة بن عاشور، الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله، جامعة ورقلة الجزائر .

• عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، التحريف المعاصر في الدين تسلل في الأنفاق بعد سقوط في الأعماق، ط١، دار القلم (دمشق : ١٩٩٧م) .

• عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، ط ١، دار القلم (دمشق : ١٩٨٠م) .

• عبدالعزيز بن سعد الشهري، التناص القران في دراسات الحداثة العربية والاستشراق، ط١، دار الوعي (الرياض : ١٤٣٧هـ) .

• عبدالعزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك عالم المعرفة (الكويت : ١٩٩٨م) .

• عبدالله عمر الخطيب، الحداثيون وقراءة النص الشرعي نقلاً عن الشبكة العنكبوتية .

• عبير بنت عبدالله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ط١، دار التدمرية (الرياض : ٢٠١٥م) .

• عبير بنت عبدالله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير .

• علي حرب، التاويل والحقيقة، دار التنوير، ٢٠٠٧م .

• فاطمة الزهراء الناصري، القراءة الحداثية للنص القرآني دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، ندوة دولية بعنوان الحداثة والهوية الثقافية أية علاقة ؟ .

• فيرناند هالين وآخرون، بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة محمد خير البقاعي، طوكولو (باريس: ١٩٨٧م) .

• كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن

حنفي جامعة سلمان بن عبد العزيز السعودية .

- كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط١، منشورات الاختلاف (الرباط: ٢٠١١م).
- محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية ، ط١، مركز الإنماء الحضاري (حلب: ١٩٩٨م) .
- احمد الريسوني، الاجتهاد، النص، الواقع، المصلحة، دار الكلمة للنشر .
- محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية .
- نصر حامد أبو زيد اشكاليات القراءة واليات التاويل، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤م .

***